

بِسْمِهِ تَعَالَى شَأْنَهُ

خطبة صلاة الجمعة في مسجد الإمام عليّ (ع) في هامبورغ

مقامة من قبل إمام المسجد و مدير المركز حجة الإسلام و المسلمين الدكتور رضا الرمضاني
(ليوم ٤ / جمادي الثاني / ١٤٣٠ المصادف ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٩)

سلسلة بحوث معرفة القرآن الكريم (٥) الحكمة في تلاوت القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين ، نحمده و به نستعين ، ونشهد أن لا إله إلا هو وحده
' شريك له، و نشهد أن محمداً عبده و رسوله ، عليه و على آله أفضل الصلاة و السلام و على صحبه
منتجبين.

عباد الله أوصيكم و نفسي بتقوى الله فإن خير الزاد التقوى.

إنّ من إحدى الأمور التي أوحيت إلى الرسول الكريم كان تلاوة القرآن الكريم على الناس كما نرى
لك في الآية (٢) من سورة الجمعة في قوله تعالى: « .. يتلو عليهم آياته .. » و لذلك فإنّ من واجبات كلّ مسلم
أن يتعرّف على القرآن الكريم و يتلوّه مع رعاية الآداب و الأحكام التي تخصّه.

و علاوة على ذلك فإنّ لتلاوة القرآن الكريم حكمة خاصّة به و هي أنّ على الإنسان الذي يتلو القرآن الكريم، أن
يكون بحضور القلب و بدرجة من الخضوع و الخشوع و كأنّه يرى المولى العليّ القدير و هذه الحالة الروحيّة مهمّة
دأباً و الإنسان الذي يراعي هذه التعاليم حين تلاوة القرآن الكريم لا يحسّ بالوحشة أبداً كما قال ذلك
إمام السجّاد (ع) « لومات من بين المشرق و المغرب لما إستوحشت بعد أن يكون القرآن معي »^(١)

فحين يتلو الإنسان القرآن الكريم و يرى بعين القلب السليم تجلّي المولى العزيز الحكيم، يكون قد
صلّ إلى حكمة التلاوة و هذه الحكمة هي التي قد جاء ذكرها في العبادة أي أنّ العابد يحسّ في ضميره
كأنّه يرى المعبود و لا يخفى أنّ التلاوة هي نوعٌ من العبادة و هذا ما يمكن أن يتحقّق للذي ينشغل
لتلاوة و ما لا شكّ فيه ، هو أنّه كلّ ما تعمّق الإنسان في العبادة إزداد إحساسه بالحضور و الشهود أكثر
أكثر.

و لو أراد الإنسان المؤمن أن ينال هذه الدرجة من الحكمة ، التي هي مشاهدة المتكلّم إليه أي
معبود، فعليه أن يحبّ الحقّ فقط و أن لا يترك الباب مفتوحة لدخول غير الحق إلى قلبه، و عندئذٍ سوف
' يناله القلق و الإضطراب كما قال الإمام الحسن (ع) في دعاء عرفة : « ماذا وجد من فُقدك، وما الذي
تد من وجدك. لقد خاب من رضىّ دونك بدلاً » و جاء في شرح الحالات النفسيّة التي كان يعيشها الإمام السجّاد
(ع) بأنّه « كان (عليه السلام) اذا قرأ «مالك يوم الدين» يكرّرها حتى كاد ان يموت »^(٢)

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠٢

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٠٢

كما و قال عليّ بن أبيطالب (ع) في تجلّي الخالق تبارك و تعالى في القرآن الكريم للذين يتلونه: «
تجلي لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه»^(٣)

إنّ التجلّي هو من أجمل التعبير التي في المعارف اللغويّة الإسلاميّة و معناه هو أنّ الله جلّ و علا
زلّ من عالم الغيب ما فيه بيانٌ لنا و واضحٌ أنّ التجلّي هو غير التجافي، و ذلك لأنّ القرآن الكريم قد
زل في شهر رمضان المبارك ، في حين أنّ حقيقته عند الله عزّ و جلّ دائمةٌ مستمرةٌ و أنّه نزل في
أبّ محكماتٍ في ألفاظٍ بليغةٍ و فصيحة ليتلوها الإنسان و يستفيد منها. و أمّا التجافي فهو النزول و عدم
بقاء في العلى مثل المطر الذي ينزل من الغيث، فإمّا أن يكون في الغيوم أو أنّه ينزل على وجه البسيطة
حين يكون في الغيوم فلا وجود له على الأرض و حين يسقط على الأرض فلا وجود له في الغيوم.

و من نماذج التجلّي هو تجلّي ملك الموت الذي يتجلّى للمحتضّر و لكن لم ينزل من منزلته
رفيعة كما يعبرُ عنه المعصوم (ع) في قوله: « تجلي ملك الموت يقبضها من حجب الغيوب ، و رماها عن
بس المنايا بأسهم وحشة الفراق»^(٤) فقال الإمام (ع) « ربّنا إرحمنا في ذلك اليوم »

و هنالك نموذج آخر للتجلّي في القرآن الكريم و هو ما جرى للنبيّ موسى (ع) و الذي بيانه في الآية ١٤٣ من
سورة الأعراف في قوله تعالى: « فلما تجلّي ربّه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقاً»^(٥) و بناءً على ذلك فإنّ الذي
لو القرآن الكريم يجب عليه إن يسعى للتوصّل إلى فهم الحكم و المعاني الباطنيّة في الآيات الكريمة و عندئذ سوف
تشرّ مع الملائكة الذين هم السفّرة البرّرة كما نرى ذلك في الرواية عن المعصوم (ع) في قوله: « الحافظ للقرآن
عامل به مع السفرة الكرام البرّرة»^(٦)

إنّنا نرى عظمة القرآن الكريم في حقيقة أنّه يمرُّ يوم القيامة على صفوف المسلمين و الأنبياء و
ملائكة و العلماء و الشهداء و كأنّه إنسانٌ ذو وجهٍ منورٍ و كلُّ فريقٍ من هؤلاء يقول إنّنا نعرفه و إنّّه
نا ، و لكنّه يمرُّ بهم جميعاً حتى يصل إلى الباري عزّ و جلّ و يتشعّق لكل الذين كانوا قد حفظوا حرّمته
عندئذ يتقبّل الله تبارك و تعالى منه الشفاعة لهم.

و لذلك يجب أن يكون تصرفنا مع القرآن الكريم بكلّ عزّ و إحترامٍ له و يجب على كلّ مسلم أن
مرض نفسه على القرآن الكريم ، فإن حصل بينه و بين القرآن الكريم توافق و انسجام ، فإنّ ذلك المسلم
، مقامٌ كريم و لكن لو لم يكن هنالك توافق بين روحيته و بين القرآن الكريم، فيتبيّن أن لا منزلة لهذا
إنسان عند الله تبارك و تعالى. و لذلك فعلياً أن نتوجّه إلى القرآن الكريم بتلاوته و أن نتفكّر فيه و
نمل به، لنكون من العاملين به و الأملين في شفاعته في يومٍ لا تنفع فيه الشفاعة إلا من أذن الرحمن له و
و العزيز الكريم. نسأل الله تبارك و تعالى أن يمنّ علينا بالتوفيق لأداء واجبنا تجاه القرآن الكريم من
لوة و تمعّن و معرفةٍ و إحترامٍ إنّّه هو وليّ التوفيق جلّ و علا.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

(٣) نهج البلاغة ، خطبة ١٤٧
(٤) الصحيفة السجاديّة - دعاء ٤٢
(٥) سورة الأعراف الآية ١٤٣
(٦) الكافي ج ٢ ص ٦٠٣